الكـــوابح

محمد صالح المنجد

ساهم في إعداده
الفريق العلمي بمجموعة زاد

ح مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المنجد، محمد صالح
الكوابح/ محمد صالح المنجد - جدة ١٤٣٠هـ
٦٤ ص، ١٤×٢١ سم
ردمك : ٦-٢٦٧٧-٠٠ - ٦٠٣ -٩٧٨
١- الأخلاق الإسلامية ٢-الآداب الإسلامية أ.العنوان
ديوي : ٢١٣ ١٤٣٠/٦٩٧٦

الطبعة الأولى
١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م





الكوابح



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق النفس وما فيها ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧- ٨] وجعل فيها دقائق وأسرار دالة على وحدانيته، من حب وبغض، وغضب ورضا، وإقبال وإدبار، وإقدام وإحجام، وسائر ما يعتري النفس من مشاعر وأحاسيس.

والمسلم يُقبل على الخير ويُحجم عن الشر، لاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن، واستعرت الشهوات، فلابد أن يكون للمسلم كوابح تكبحه عن الوقوع فيها، وتعينه على الصمود أمامها.

فما الكوابح، وما صورها، وما أسباب ضعفها، وكيف يقوي المسلم كوابحه، هذا ما سنتناوله في هذا الكتيب.

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا



ما الكوابح؟

تقول العرب: كَبَحَ الدابة يكبَحها كَبْحاً: جذبها إليه باللجام لتقف ولا تجري، وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: **أَفَاضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ وَأَنَا رَدِيفُهُ، فَجَعَلَ يَكْبَحُ رَاحِلَتَهُ حَتَّى أَنَّ ذِفْرَاهَا لَيَكَادُ يُصِيبُ قَادِمَةَ الرَّحْلِ**[١]. وتقول: كبحه عن حاجته، إذا رده عنها[٢].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى في النفس البشرية قوتين: قوة إقدام، وقوة إحجام، فقوة الإقدام ينبغي أن تصرف إلى ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه، وقوة الإحجام للإمساك عما يضره، والمفترض في نفس المسلم أن تُقبل على الخير وتُحجم عن الشر، وهذا الإحجام كابح يكبح به المسلم نفسه عن الشر.

فالكوابح إذن: هي إحجامات المسلم عن الوقوع في الشر، والمعصية، وسفاسف الأمور.

وكلما اشتدت الكوابح، كان صمود المسلم أمام المغريات والشهوات المحرمة والفتن أقوى؛ فمن الناس من يصبر على مشقة الطاعة، ولا صبر له عن المعصية، ومنهم من لا صبر له على هذا ولا على ذاك، وأفضل الناس أصبرهم على النوعين، فكثير من الناس يصبر على مكابدة قيام الليل في الحر والبرد، وعلى مشقة الصيام، ولا يصبر عن نظرة محرمة، وكثير من الناس يصبر عن النظر، وعن الالتفات إلى الصور، ولا صبر له على الأمر

---

١ () رواه النسائي (٣٠١٨) وصححه الألباني.

٢ () تهذيب اللغة (٤/ ٦٨)، لسان العرب (٢/ ٥٦٨)، تاج العروس (٧/ ٨٦) مادة: كبح.

بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين[1].

قال ابن القيم رحمه الله: مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد، فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر، وإن فُقدا معاً سهل الصبر عنه، وإن وُجد أحدهما وفُقد الآخر سهل الصبر من وجه، وصعب من وجه، فمن لا داعي له إلى القتل والسرقة وشرب المسكر وأنواع الفواحش ولا هو سهل عليه فصبره عنه من أيسر شيء عليه وأسهله، ومن اشتد داعيه إلى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء عليه، ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم، وصبر الشاب عن الفاحشة، والغني عن تناول اللذات والشهوات عند الله بمكان، لذلك استحق السبعة المذكورون في الحديث الذين يظلهم الله في ظل عرشه لكمال صبرهم ومشقته، فإن صبر الإمام المتسلط على العدل في قسمه وحكمه ورضاه وغضبه، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه، وصبر الرجل على ملازمة المسجد، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة حتى عن بعضه، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه، وصبر المتحابين في الله على ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك وعدم إظهاره للناس من أشق الصبر.

ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان والفرج من أصعب أنواع الصبر؛ لشدة الداعي إليهما وسهولتهما، فإن معاصي اللسان فاكهة الإنسان كالنميمة،

---

١ () انظر: عدة الصابرين (١٠،١١).

والغيبة، والكذب، والمراء، والثناء على النفس تعريضا وتصريحا، وحكاية كلام الناس، والطعن على من يبغضه، ومدح من يحبه ونحو ذلك فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر.

وتجد الرجل يقوم الليل، ويصوم النهار، ويتورع من استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة، ويُطلق لسانه في الغيبة والنميمة في أعراض الخلق.

وكثير ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام، والقطرة من الخمر، ومثل رأس الإبرة من النجاسة، ولا يبالى بارتكاب الفرج الحرام، كما يُحكى أن رجلا خلا بامرأة أجنبية فلما أراد مواقعتها قال: يا هذه غطى وجهك؛ فإن النظر إلى وجه الأجنبية حرام.

وسأل رجل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن دم البعوض؟ فقال: انظروا إلى هؤلاء يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله r .

ثم قال ابن القيم رحمه الله: واتفق لي قريب من هذه الحكاية كنت في حال الإحرام فأتاني قوم من الأعراب المعروفين بقتل النفوس والإغارة على الأموال يسألوني عن قتل المحرم القمل؟ فقلت: يا عجبا لقوم لا يتورعون عن قتل النفس التي حرم الله قتلها، ويسألون عن قتل القملة في الإحرام[١].

---

١ () عدة الصابرين (٥٥- ٥٧).

صعوبة الكبح

إن كبح النفس عن الفواحش شديد، والصبر عن الحرام شاق، عن أنس t قال: قال رسول الله r: «حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[١].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (المراد بالمكاره هنا: ما أُمر المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلا وتركا؛ كالإتيان بالعبادات على وجهها، والمحافظة عليها، واجتناب المنهيات قولا وفعلا وأُطلق عليها المكاره؛ لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه، والمراد بالشهوات ما يستلذ من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه إما بالأصالة، وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات فكأنه قال: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات وهما محجوبتان فمن هتك الحجاب اقتحم)[٢].

عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: « **لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَىْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَىْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ** »، قَالَ: « **فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ**

---

١ () رواه البخاري (٦٤٨٧) ومسلم (٢٨٢٢) واللفظ له.

٢ () فتح الباري (١١/ ٣٢٠).

إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَىْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا. فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَىْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا »[١]، أي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة، ومخالفة النفس، وكسر الشهوات[٢].

فكبح النفس وإلجامها بلجام التقوى يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة، فعن أبي الدرداءt قال: قال رسول الله r: « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ »[٣]، وعن أبي سعيد الخدري t قال: قال رسول الله r: « ...وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ »[٤].

فقَوْله: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ» أي فإن الله يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له وتذعن لتحمل الشدة فعند ذلك يكون الله معه فيظفر بمطلوبه.

قال ابن الجوزي رحمه الله: إنما جُعل الصبر خير العطاء؛ لأنه حبس النفس عن فعل ما تحبه، وإلزامها بفعل ما تكره في العاجل مما لو فعله أو تركه لتأذى به في الآجل[٥].

وعلى الإنسان أن يعلم أن الصبر عن الحرام – وإن كان شاقاً – يعقبه لذة

---

١ () رواه أبوداود (٤٧٤٤) وصححه الألباني.

٢ () تحفة الأحوذي (٧/ ٢٣٧).

٣ () رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣) وحسنه الألباني، وأعله الدارقطني في العلل (١٠/ ٣٢٦) بالوقف.

٤ () رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣) واللفظ للبخاري.

٥ () فتح الباري (١١/٣٠٤).

وراحة يوم الدين كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أنت في دار شتاتٍ فتأهب لشـــتاتك
واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك
وليكن فطرك عند الله في يوم وفاتك[١]

فالصبر عن الحرام وإن كان فيه غُصة في البداية ولكنه أفضل من الغسلين والضريع يوم القيامة.

لا خير فيمن لا يراقـــــــــب ربه عنــــــد الهوى ويخافه إيماناً
حَجَبَ التقى سُبُلَ الهوى فأخو التقى يخشى إذا وافى المعــــاد هوانا[٢]

وبعض الناس إذا عرضت عليه رشوة صغيرة مثلاً فقد يحجم عن قبولها، لكن إذا عرضت عليه رشوة كبيرة فإنه لا يتمكن من مقاومة هذا الإغراء.

وما أجمل ما فعله كعب بن مالك t عندما رفض ما قُدم له من إغراء:

وذلك لما تخلف عن الخروج مع رسول الله r في غزوة تبوك وهجره الرسول r والصحابة رضي الله عنهم ... في هذه الأثناء يحكي كعب رضي الله عنه قائلا : (فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة... قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتابا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد

جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها ...) إلى آخر القصة حتى نزلت الآيات وتاب الله عليه[١]، فهذا الثبات أمام المغريات كان سببا لفلاحه وفوزه.

فلدى المؤمن من الإيمان ما يكبح به نفسه عن التفريط في أمر الله، يقول الحسن البصري رحمه الله: (إن المؤمن يفجأه الشيء يعجبه فيقول والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي ولكن واللهِ ما من صلة إليك هيهات هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت إلى هذا؟ مالي ولهذا، والله مالي عذر بها، ووالله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله) [٢].

---

١ () رواه البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩).

٢ () حلية الأولياء (٢/ ١٥٧).

أسباب ضعف الكوابح

تتفاوت الكوابح بين الناس تفاوتا كبيرا، فمن الناس من تكون كوابحه وإحجاماته عن الشر قوية، ومنهم من تكون كوابحه ضعيفة، ولضعف الكوابح عند المسلم أسباب عديدة، منها:

١. **ضعف الإيمان .**

الإيمان سلاح المؤمن، وهو الحصن الحصين الذي يقي من الوقوع في مهاوي الرذيلة، وحينما يبتعد الإنسان عن الطاعات يضعف إيمانه ويتجرأ على الوقوع في المعصية، ولذلك قال بعضهم: (ثلاثة من أعلام التقوى: ترك الشهوة المذمومة مع الاستمكان منها، والوفاء بالصالحات مع نفور النفس منها، ورد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها)[1]، فهذه الأشياء الثلاثة فعلها يدل على أن في قلب فاعلها إيماناً وديناً عظيماً؛ لأنه يجد الحرام أمامه لكنه يتركه لله، ويرغم نفسه على العبادة والطاعة مع نفور النفس منها، ويرد الأمانات إلى أهلها مع الحاجة إليها.

٢. **الجهل بالنصوص الشرعية.**

العلم بالله أصله الخشية منه سبحانه، والذي يخشى الله يحاذر، فيحاسب نفسه قبل أن يحاسبه ربه، فهو متيقظ غير غافل، يعلم من نفسه ما لا يعلمه غيره منها، فهو يراقب الله دائما، ويمنع نفسه من كثير مما تهوى، ويلجمها بلجام الشرع لئلا تزل فتغوى، ولعلمه بعاقبة الغضب يملك

---

١ () حلية الأولياء (٩/ ٣٩٣).

نفسه، ويروضها على الصبر وتحمل الأذى، وهكذا هو في كل أمر يحذر مغبة التسرع فيه ، فيملكه بالتروي، ويتعامل معه بالحكمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال ابن جرير رحمه الله: (إنما يخاف اللهَ فيتقي عقابه بطاعته العلماءُ، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد؛ لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه)[1].

٣. النقص في تحصين النفس ومجاهدتها.

إن توارد الخواطر السيئة على القلب سبب لركونه إليها، ومن ثم يصبح القلب مريضا، فليحذرِ المسلم من الاسترسال مع الخطرات وعدم مجاهدتها ودفعها، فإن الخطرات شأنها صعب، فمبدأ الخير والشر خاطرة، فإذا دافعت الخاطرة من أول الطريق ملكت زمام نفسك وقهرت هواك، وإذا غلبتك خواطر الحرام فإنك ستنزلق في الهاوية.

والنفس لها خواطر رحمانية من الرحمن، وخواطر شيطانية من الشيطان، وخواطر نفسانية من النفس، وكلما كان الإصلاح في مرحلة مبكرة كانت القضية أهون وأسهل، وكلما بادر الإنسان كان الإصلاح أسرع.

٤ . ضعف الخشية من الله عز وجل.

خشية الله تعالى والخوف منه صمام الأمان، وهو العاصم للعبد من مواقعة الحرام، والانسياق وراء الشهوات والمحرمات.

(معاذ الله) قالها يوسف u فأعاذه الله، وصرف عنه كيد النسوة، ويقولها

---

١ () تفسير الطبري (٢٠ / ٤٦٢).

بعض من يستظل بظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، عن أبي هريرة t عن النبي r قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ، ومنهم... وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله**»[1]، إنه الإيمان الصادق بالله تعالى، الذي يثمر لصاحبه خشيته ومراقبته في الغيب والشهادة، وفي السر والعلن.

هذه أبرز الأسباب المؤدية لضعف الكوابح، نسأل الله السلامة منها.

---

١ () رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

الكوابح عند المؤمنين

تتعدد الكوابح والإحجامات عند المؤمنين بتعدد الأحداث، فمنهم من يكبح نفسه عن الغضب، ومنهم من يكبحها عن الوقوع في المعاصي، ومنهم من يكبحها عن الطلاق وغير ذلك، وإليك بعضا منها:

كظم الغيظ وكبح جماح النفس عن الانتقام

مدح الله عز وجل المؤمنين بصفات كثيرة، ومنها كظم الغيظ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فهذه ثلاث صفات عظيمة أولها: كظم الغيظ وإيقافه، والثانية: العفو والصفح مع المقدرة والتمكن، والثالثة وهي أعلاها مرتبة: الإحسان إلى الناس مقابل إساءتهم.

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن النبي r قال: « **مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ** »[1].

وكان لعلي بن الحسين زين العابدين جارية تسكب عليه الماء في وضوئه، ومرة سقط الإبريق من يدها على وجهه فأصابه، فرفع رأسه إليها فقالت: إن الله يقول: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ فقال: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ فقال: قد عفوت عنك قالت: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

---

١ () رواه أبو داود(٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١) واللفظ له، وحسنه الألباني.

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ قال: اذهبي فأنت حرة[1].

وقد أمر الله تعالى نبيه r بالعفو والصفح، فقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك.

وعنه أيضا قال: هو الرجل يسب الرجل، فيقول الآخر إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك[2].

وقد كان في أنبياء الله ورسله عليهم السلام الأسوة الحسنة في العفو والمسامحة: فعن ابن مسعودٍ t قال: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ r يَحْكِي نَبِيّاً مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»[3].

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبى r حدثته أنها قالت لرسول الله r: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: « **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِى عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِى إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِى فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِى فقال: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ**

[1] () رواه البيهقي في الشعب (١٠/ ٥٤٥) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤١/ ٣٨٦).

[2] () تفسير القرطبي (١٥/ ٣٦١).

[3] () رواه البخاري (٦٩٢٩) ومسلم (١٧٩٢).

قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قال: فَنَادَانِى مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَىَّ، ثم قال: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِى رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِى بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ». فقال له رسول الله r :« بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي r على قومه ومزيد صبره وحلمه وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧])[2].

وهذا نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول لإخوته –وقد عانى ما عاناه بسببهم-: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢].

فالعفو سبب لعلو المنزلة، ورفعة الدرجة وفيه من الطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها وترفعها ما لا يدركه إلا أصحاب النفوس الكريمة.

علاج الغضب:

لما كان الغضب من رعونات النفس، ومن أسباب تمكُّن الشيطان منها

---

[1] () رواه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥) واللفظ له.

[2] () فتح الباري (٦/٣١٦).

واستيلائه عليها، كان التعرف على طرق علاجه لازما؛ لتوقيه وكف شره، فمن ذلك:

١- معرفة فضل كظم الغيظ.

فمعرفة فضل الشئ مدعاة لطلب تحصيله، عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله r قال: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ، دَعَاهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ**»[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:قال رسول الله r: «**مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْراً عِنْدَ الله، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله**»[٢].

٢- تجنب ما يسبب الغضب ومجاهدة النفس على دفعه.

عن أبي هريرة t أن رجلا قال للنبي r: أوصني. قال: «**لا تغضب**»، فردد مراراً قال: «**لا تغضب**»[٣] .

قال ابن رجب رحمه الله:(قوله r لمن استوصاه لا تغضب يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق، من الكرم، والسخاء، والحلم، والحياء، والتواضع، والاحتمال، وكف الأذى، والصفح، والعفو، وكظم الغيظ، والطلاقة والبشر، ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة، فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه.

والثاني : أن يكون المراد لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك، بل

---

١ () رواه أبو داود(٤٧٧٧)، والترمذي (٢٠٢١) واللفظ له، وحسنه الألباني.

٢ () رواه ابن ماجة (٤١٨٩) وصححه الألباني.

٣ () رواه البخاري (٦١١٦).

جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به)[١].

٣- التعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فالشيطان أصل كل بلاء، ومادة كل شر، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:٢٠٠]

وعن سليمان بن صُرَد t قال: اسْتَبَّ رجلان عند النبي r فجعل أحدهما تحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه، فقال رسول الله r: « **إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، فقال الرجل: وهل ترى بي من جنون[٢].

٤ - السكوت حال الغضب وحبس اللسان وإلجامه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:قال رسول الله r: « **عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ** »[٣].

٥- تغيير الهيئة.

عن أبي ذر t قال: إن رسول الله r قال لنا: « **إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ** »[٤].

٦- معرفة نتائج الغضب وعواقبه.

فقد يخسر الإنسان أعز ما يملك في لحظة غضب؛ فكم تسبب الغضب في

---

١ () جامع العلوم والحكم(١٤٥).

٢ () رواه البخاري (٦٠٤٨)، ومسلم (٢٦١٠).

٣ () رواه أحمد(٢٥٥٦)،والبخاري في الأدب المفرد (١٣٢٠) وصححه الألباني.

٤ () رواه أبو داود(٤٧٨٢)، وصححه الألباني.

فراق الزوجة، وحرمان الأبناء، وتضييع الحقوق، والاعتداء على الضعفاء والإخوان.

فمتى أدرك العاقل عاقبة الغضب وما يؤدي إليه توقّاه.

معاوية يتذكر الحديث عند الغضب:

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: أنه خطب الناس، وقد حبس العطاء شهرين أو ثلاثة، فقال له أبو مسلم: يا معاوية إن هذا المال ليس بمالك، ولا مال أبيك، ولا مال أمك، فأشار معاوية إلى الناس أن امكثوا، ونزل فاغتسل، ثم رجع فقال: أيها الناس، إن أبا مسلم ذكر أن هذا المال ليس بمالي ولا بمال أبي ولا أمي، وصدق أبو مسلم إني سمعت رسول الله r يقول:« **الغضب من الشيطان، والشيطان من النار، والماء يطفىء النار، فإذا غضب أحدكم فليغتسل**»، أغدوا على عطاياكم على بركة الله عز وجل[1].

وعن مبارك بن فضالة قال: وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر، قال: فكنت عنده إذا أتى برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت يا أمير المؤمنين: ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم، فلا يقوم إلا من عفا، فقال: والله لقد سمعته من الحسن؟ فقلت والله لسمعته منه، فقال: خلينا عنه[2].

ذكره بآية من كتاب الله فانتهى عن الظلم :

---

١ () حلية الأولياء (٢/ ١٣٠) وضعفه الألباني.

٢ () إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٣).

وروي أن زياداً أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخاً له فقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم، قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم، وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثم تلا ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم:٣٦-٣٨]، فقال زياد: خلوا سبيله، هذا رجل قد لُقن حجته[١].

ومن الكوابح الخوف أن ينسب إليه الجبن

لما أخرج أهل مكة خبيبا t لقتله خارج الحرم، قال لهم: ذروني أركع ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، ثم قال: لو لا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها[٢]، فمثل هذا محمود لما يتضمنه من العزة والاستعلاء بأمر الله تعالى.

وقال معاوية t: لقد وضعت رجلي في الركاب، وهممت يوم صفين بالهزيمة، فما منعني إلا قول ابن الإطنابة:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإكراهي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي[٣]

ولما رجع المتنبي من بلاد فارس قاصداً بغداد ثم الكوفة، عرض له فاتك الأسدي وأصحابه، - وكان المتنبي قد هجا أم فاتك - وكان مع المتنبي جماعة من أصحابه، فقاتلوهم فقتل المتنبي وابنه مُحَسِّدٌ وغلامه مُفلِح ويذكر

١ () الأذكياء لابن الجوزي (٦٦).
٢ () رواه البخاري (٣٠٤٥).

الرواة أن أبا الطيب قاتل قتالا شديدا ولما فَرَّ حين رأى الغلبة، قال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل:

فالخيل والليل والبيداء تعرفني   والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال: قتلتني قاتلك الله فكر راجعاً فطعنه زعيم القوم برمح في عنقه فقتله ثم اجتمعوا عليه فطعنوه بالرماح حتى قتلوه وأخذوا جميع ما معه وكان سبب قتله هذا البيت[١]، ومثل هذا مذموم وهو فِعْلُ الجاهلية الأولى.

ومن الكوابح الأدب

عن عبد الله t قال: صليت مع النبي r ليلة فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي r [٢].

قال السندي رحمه الله: «قوله (بأمر) أي: غير لائق أن يفعل (أن أجلس) في الصلاة، أو بالخروج منها؛ لثقل القيام لطوله. وكان هذا في صلاة الليل النافلة، وإلا ففي الفرض قد جاء مراعاة المقتدي بأتم وجه»[٣].

قال النووي رحمه الله: (وفيه: أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وألا يخالفوا بفعل ولا قول ما لم يكن حراماً واتفق العلماء على أنه إذا شق على المقتدي في فريضة أو نافلة القيام وعجز عنه جاز له القعود وإنما لم يقعد ابن مسعود t للتأدب مع النبي r)[٤].

---

١ () البداية والنهاية (١١/ ٢٥٧).

٢ () رواه البخاري (١١٣٥) ومسلم (٧٧٣).

٣ () حاشية السندي على ابن ماجه (٣/ ٢٠٦).

٤ () شرح النووي على مسلم (٦/ ٦٣).

ومن الكوابح مراعاة المكانة وخوف الاقتداء في ما لا يليق

عن موسى بن أعين، قال: قال لي الأوزاعي: يا أبا سعيد كنا نمزح ونضحك، فأما إذا صرنا يُقتدى بنا، ما أرى يسعنا التبسم[١].

ومن الكوابح الوقوف عند حدود الله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r : «**لَا تَمْنَعُوا النِّسَاءَ مِنْ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِاللَّيْلِ**» فقال ابن لعبد الله بن عمررضي الله عنهما: لا ندعهن يخرجن فيتخذنه دغلا – والدغل هو الفساد والخداع والريبة – قال: فَزَبَرَهُ ابن عمر وقال: أقول قال رسول الله r وتقول لا ندعهن[٢].

وعن نعيم بن مسعود الأشجعي قال: سمعت رسول الله r يقول لهما –أي لرسولي مسيلمة– حين قرأ كتاب مسيلمة ما تقولان أنتما؟ قالا: نقول كما قال، قال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما[٣].

وعن الفضل بن موسى، قال: كان الفضيل شاطراً[٤] يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته: أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها سمع تالياً يتلو: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦] فقال: يا رب قد آن، فرجع، فآواه الليل إلى خرِبة، فإذا

---

١ () حلية الأولياء (٦ / ١٤٣).

٢ () رواه مسلم (٤٤٢).

٣ () رواه أبو داود (٢٧٦١) .

٤ () يقال: «شَطَرَ» فلان على أهله «يَشْطُرُ» من باب قتل، إذا ترك موافقتهم وأعياهم لؤما وخبثا، وهو «شَاطِرٌ» و«الشَّطَارَةُ» اسم منه. المصباح المنير(١٦٣).

فيها رُفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال قوم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا. فتاب الفضيل وأمَّنهم. وجاور الحرم حتى مات[١].

ومن الكوابح الورع

عن أنس t قال: مر النبي r بتمرة ساقطة على الأرض فقال:« **لَوْلَا أَنْ تَكُونَ مِنْ صَدَقَةٍ لَأَكَلْتُهَا**»[٢].

ولما وقعت حادثة الإفك، وتكلم المنافقون في الصديقة عائشة رضي الله عنها؛ وتناقل الناس كلامهم؛ عصم الله أم المؤمنين زينب رضي الله عنها من الولوغ في الحرام، فتقول عائشة رضي الله عنها: « **وَكَانَ رَسُولُ اللهr يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَال: يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ؟ مَا رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي؛ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا؛ قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي؛ فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ** »[٣].

فزينب رضي الله عنها من ضرائر عائشة رضي الله عنها؛ وهي التي كانت تنافسها وتساميها عند النبي r تورعت وكبحت جماح شهوة الانتصار والانتقام الذي تمارسه كثير من النساء والضرائر ظلماً وعدواناً .

ولا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، وقال بعضهم:(كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في الحرام)

١ () تاريخ دمشق (٤٨/ ٣٨٢) .
٢ () رواه البخاري (٢٠٥٥) ومسلم (١٠٧١).
٣ () رواه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

.[١]

ومن الكوابح الصمت

عن أبي هريرة t قال: قال رسول اللهr: « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ** »[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (قَوْله : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ** » هذا من جوامع الكلم لأن القول كله إما خير وإما شر وإما آيل إلى أحدهما ; فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها فأذن فيه على اختلاف أنواعه ودخل فيه ما يؤول إليه وما عدا ذلك مما هو شر أو يؤول إلى الشر فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت)[٣].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله r « **مَنْ صَمَتَ نَجَا**»[٤].

قال الراغب: الصمت أبلغ من السكوت؛ لأنه قد يُستعمل فيما لا قوة له للنطق وفيما له قوة للنطق ولهذا قيل لما لا نطق له الصامت والمصمت والسكوت يقال لما له نطق فيترك استعماله. فالصمت في الأصل سلامة

١ () ذكره أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٨١٣) فقال: وفي بعض الآثار:...فذكره، وذكره ابن القيم في المدارج (٢/ ٢٥) عن بعض الصحابة- ولا يعرف له إسناد عن أحد من الصحابة فيما نعلم، والذي عند عبدالرزاق (١٤٦٨٣)في مصنفه بسند ضعيف عن عمر t قال:(تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا).

٢ () رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم(٤٧).

٣ () فتح الباري (١٠/ ٤٤٦).

٤ () رواه الترمذي (٢٤٢٥) وصححه الألباني.

لكن قد يجب النطق شرعا. ومقصود الحديث أن لا يتكلم فيما لا يعنيه ويقتصر على المهم ففيه النجاة[١].

إن آفات اللسان مهالك ومعاطب، وهي على طريق المتكلم فإن سكت سلم من الكل، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافقه لسان صدوق وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة، ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك، وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر، فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم ، فكن ممن سكت فسلم ، فالسلامة إحدى الغنيمتين.

عن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: عجبت من اتفاق الملوك الأربعة كلهم على كلمة، قال كسرى: إذا قلت ندمت وإذا لم أقل لم أندم، وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت، وقال ملك الهند: عجبت لمن تكلم بكلمة إن هي رفعت تلك الكلمة ضرته، وإن هي لم ترفع لم تنفعه، وقال ملك الصين: إن تكلمت بكلمة ملكتني وإن لم أتكلم بها ملكتها[2] .

وقال أمير المؤمنين عمر t: (من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه)[٣].

فالمسلم إذا علم أن كل كلمة ينطق بها لسانه سوف يحاسب عليها قلَّ كلامه

---

١ () تحفة الأحوذي (٧/ ١٧٢).

٢ () الآداب الشرعية (١/ ٦٣).

٣ () رواه الطبراني في الأوسط (٢٢٥٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣٧٤)، والبيهقي في الشعب (٤٦٤٠)، وابن حبان في الروضة (٤٤) اللفظ متقارب، وفيه ضعف وله طرق وهو مشهور عن عمر t.

إلا فيما ينفع، ولذا كان الصحابة رضوان الله عليهم شديدي الحرص على محاسبة أنفسهم فيما تنطق به ألسنتهم، وكان أبو بكر t يأخذ بلسانه ويقول: (هذا الذي أوردني الموارد)[١].

وعن علقمة عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله r: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله عَزَّ وَجَلَّ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ الله عَزَّ وَجَلَّ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، قال: فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث[٢].

ومن الكوابح معاقبة النفس عند التقصير فهو يعصمها من المعاودة

فاتت ابنَ عمرٍ رضي الله عنهما صلاة الجماعة فأحيا تلك الليلة كلها[٣]، وفاتت ابن أبي ربيعة ركعتا سنة الفجر فأعتق رقبة[٤].

فالنفس لا تستقيم إلا أن تُجاهد وتُحاسَب و تُعاقَب، ومما يعين على معاقبة النفس أو إرغامها على استدراك النقص؛ التأمُّل في أخبار المجتهدين.

ومن الكوابح الخوف من الآخرة

قال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فأطرق

---

١ () رواه مالك في الموطأ (١٨٥٥)، وابن المبارك في الزهد(٣٦٩)، والنسائي في الكبرى (١١٨٤١) والبزار في مسنده (٨٤) وإسناده صحيح.

٢ () رواه أحمد (١٥٨٥٢) والترمذي (٢٣١٩) واللفظ لأحمد، وصححه الألباني.

٣ () حلية الأولياء (١/ ٣٠٣).

٤ () الزهد لابن المبارك (٥٢٨).

عمر زماناً طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، ثم عفا عنه[1].

ومن الكوابح خشية الانتقام للنفس

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك[2].

ومن الكوابح خشية أن ينسب الإنسان إلى ما لا يليق به

كما في حديث أبي سفيان t مع هرقل، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذبا لكذبت عنه[3].

ومن الكوابح خوف الوقوع فيما نهى عنه النبي r

---

١ () شعب الإيمان (٧٩٧١)، تاريخ دمشق (٤٥/ ٢٠٥)..

٢ () تلبيس إبليس (١٣٣) .

٣ () رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

عن قيس قال أتيت خبابا t وقد اكتوى سبعا في بطنه فسمعته يقول :لولا أن النبي r نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به[١].

وقال أنس t لولا أني سمعت النبي r يقول: « **لَا تَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَتَمَنَّيْتُ** »[٢]

.

وعن زينب بنت أبي سلمة قالت: لما جاء نعي أبي سفيان t من الشام دعت أم حبيبة رضي الله عنها بصفرة في اليوم الثالث فمسحت عارضيها وذراعيها، وقالت: إني كنت عن هذا لغنية، لولا أني سمعت النبي r يقول: « **لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**»[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللهr في مرضه الذي لم يقم منه: « **لَعَنَ الله الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجدا [٤].

وعن رفاعة بن شداد القتباني قال: لولا كلمة سمعتها من عمرو بن الحمق الخزاعي لمشيت فيما بين رأس المختار وجسده سمعته يقول: قال رسول الله r:« **مَنْ أَمِنَ رَجُلاً عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ لِوَاءَ غَدْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٥].

ومن الكوابح تقوى الله ومراقبته في السر والعلن

---

١ () رواه البخاري (٦٣٤٩) ومسلم (٢٦٨١).

٢ () رواه البخاري (٧٢٣٣) ومسلم (٢٦٨٠).

٣ () رواه البخاري (١٢٨٠) ومسلم (١٤٨٦).

٤ () رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم(٥٣٠).

٥ () رواه ابن ماجه (٢٦٨٨)، وصححه الألباني.

كان عمر بن الخطاب t، يعسُ ليلةً من الليالي ويتتبع أحوال الأمة، وتعب فاتكأ على جدارٍ ليستريح، فإذا امرأة تقولُ لابنتها: امذقي اللبنَ بالماءِ ليكثرَ عند البيع.

فقالت البنتُ: إن عمرَ أمرَ مناديه أن ينادي أن لا يشابُ اللبنَ بالماء.

فقالتِ الأمُ: يا ابنتي قومي فإنك بموضعٍ لا يراكِ فيه عمرُ ولا مناديه.

فقالتِ البنتُ المستشعرةُ لرقابةَ الله كلمتها المشهورة :(إن كان عمر لا يرانا فإن رب عمر يرانا)[١].

ومن الكوابح مراعاة مصلحة المسلمين

قال الفاروق عمر t: لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها كما قسم النبي r خيبر[٢].

قال ابن القيم رحمه الله سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبيء الذرية، وأخذ الأموال، فدعهم[٣].

ومن الكوابح كراهة الطلاق

١ () رواه الآجري في أخبار عمر بن عبدالعزيز (٤٨)، وابن عساكر في تاريخه (٧٠/ ٢٥٣) بلفظ: (ما كنت لأُطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء).

٢ () رواه البخاري (٢٣٣٤).

٣ () إعلام الموقعين (٣/ ٤).

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r:« **لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»[١]. أي لا يبغض مؤمن مؤمنة.

قال النووي رحمه الله: (ينبغى أن لا يبغضها؛ لأنه إن وجد فيها خُلقا يُكره، وجد فيها خُلقا مرضيا، بأن تكون شرسة الخُلق لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك)[٢].

فما يراه فيها من صفات حميدة يمنعه من بغضها وكراهتها، ويغفر لها إساءتها وسوء خلقها مثلا، ويعلل نفسه بما يعلمه منها من صيانتها لدينها، وصلاتها وصيامها وقيامها، وحسن تربيتها لولدها وغير ذلك.

وعن أنس t: أن النبي r طلق حفصة فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد طلقت حفصة وهي صوامة قوامة وهي زوجتك في الجنة، فراجعها[٣].

ومن الكوابح وجود الأولاد

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن مغيثا كان عبدا فقال يا رسول الله اشفع لي إليها – أي إلى بريرة زوجته لترجع إلى عصمته- فقال رسول الله r: « **يَا بَرِيرَةُ اتَّقِي اللهَ فَإِنَّهُ زَوْجُكِ وَأَبُو وَلَدِكِ**»، فقالت يا رسول اللهِ: أَتَأْمُرُنِي بذلك؟ قال: «**لَا إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ**»[٤].

فأراد النبي r أن يذكرها بما بينها وبينه مما عسى معه أن تراجع نفسها،

---

١ () رواه مسلم (٢٦٧٢).

٢ () شرح النووي على مسلم (١٠/ ٥٨).

٣ () رواه الحاكم (٦٧٥٤) وحسنه الألباني .

٤ () رواه البخاري (٥٢٨٣) وأبو داود (٢٢٣١) واللفظ له.

متسببة بهذا الذي يذكِّرها به، ذكرها أولا بأنه زوجها، ثم ذكرها بالولد الذي رزقها الله منه فإنه يحسن بها أن تنظر في هذا الأمر، بعد أن صار سبب العشرة الأصلي لا أثر له في حياتها.

والخشية من تلك الآثار السيئة تجعل كثيرا من العقلاء الذين كثرت خلافاتهم مع زوجاتهم يتراجعون عن قرار الطلاق، وتجعل أيضا كثيرا من الزوجات الكيسات يصبرن على مرارة العيش وغصصه مع أزواجهن.

أقسام الكوابح

تنقسم الكوابح إلى قسمين، كوابح مانعة من الوقوع في الشهوات، وكوابح مانعة من الوقوع في الشبهات، وبيان ذلك كما يأتي:

القسم الأول: الكوابح المانعة من الشهوات:

كبح النفس عن الوقوع في الشهوات، مطلب أساسي لكل مسلم يريد سلوك الصراط المستقيم بعزيمة ورشد، وإن انتشار الفتن والمغريات في المجتمع، تجعل المسلم يحتاج إلى كابح يكبحه عن الولوغ فيها، والكوابح والإحجامات عن الوقوع في الشهوات كثيرة ومنها:

الخوف من الله

إن الخوف من الله تعالى وخشيته يعصم صاحبه من الوقوع في الحرام ، كما في قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحدرت عليه صخرة فسدته، قال أحدهم: « **اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنْ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنْ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ قليلا...** »[1].

قال الحسن البصري رحمه الله: كانت امرأة بغي قد فاقت أهل عصرها في

---

١ () رواه البخاري (٢١١١) ومسلم (٤٩٢٦).

الحسن، لا تمكن من نفسها إلا بمائة دينار، وإن رجلاً أبصرها فأعجبته، فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار، فجاء فقال: إنك قد أعجبتني فانطلقت فعملت بيدي وعالجت حتى جمعت مائة دينار، فقالت: ادفعها إلى القهرمان حتى ينقدها ويزنها، فلما فعل، قالت: ادخل، وكان لها بيت منجد وسرير من ذهب، فقالت: هلم لك، فلما جلس منها مجلس الخائن تذكر مقامه بين يدي الله، فأخذته رعدة، وطفئت شهوته، فقال: أتركيني لأخرج ولك المائة دينار، فقالت: ما بدا لك! وقد رأيتني كما زعمت فأعجبتك، فذهبت فعالجت وكدحت حتى جمعت مائة دينار، فلما قدرت عليّ فعلت الذي فعلت، **فقال: ما حملني على ذلك إلا الفَرَق -أي الخوف- من الله**، وذكرت مقامي بين يديه، قالت: إن كنت صادقا فمالي زوج غيرك، قال: ذريني لأخرج، قالت: لا، إلا أن تجعل لي عهدا أن تتزوجني، فقال: لا، حتى أخرج، قالت: عليك عهد الله إن أنا أتيتك أن تتزوجني، قال: لعل، فتقنع بثوبه، ثم خرج إلى بلده، وارتحلت المرأة بدنياها نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده، فسألت عن اسمه ومنزله، فدلت عليه، فقيل له: الملكة جاءت بنفسها تسأل عنك، فلما رآها شهق شهقة فمات، فأُسقط في يدها، فقالت: أما هذا فقد فاتني، أما له من قريب؟ قيل: بلى أخوه رجل فقير، فقالت: إني أتزوجك حبا لأخيك، قال: فتزوجته، فولدت له سبعة أبناء[1].

وقال أعرابي: خرجت في ليلة ظلماء فإذا أنا بجارية كأنها علم، فأردتها

١ () روضة المحبين (٤٤٧- ٤٤٨).

فقالت: ويلك أما لك زاجر من عقل، إذ لم يكن لك ناهٍ من دين؟ فقلت: إيها والله ما يرانا إلا الكواكب. فقالت: وأين مكوكبها؟[١].

الصوم

إن الصيام يحفظ من الوقوع في فاحشة الزنا، ولذلك أرشد النبي r إلى هذا العلاج، فعن عبد الله بن مسعود t قال: كنا مع النبي r فقال: «**مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: (فأرشدهم إلى الدواء الشافي الذي وضع لهذا الأمر - وهو الزواج-، ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل، وهو الصوم؛ فإنه يكسر شهوة النفس، ويضيق عليها مجاري الشهوة، فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته، فكمية الغذاء وكيفيته يزيدان في توليدها، والصوم يضيق عليها ذلك، فيصير بمنزلة وِجَاءُ الفحل، وقَلَّ من أدمن الصوم إلا وماتت شهوته أو ضعفت)[٣].

وعن أبي هريرة t عن النبي r أنه قال: « **الصِّيَامُ جُنَّةٌ**»[٤]، أي وقاية وستر. فالصيام يقي النفس من انبعاث الشهوة وثورانها، ووقوعها في المحرمات؛ لأن الأكل يقوي الشهوة.

---

١ () صفة الصفوة (٤/ ٣٩٥).

٢ () رواه البخاري (١٩٠٥) ومسلم (١٤٠٠).

٣ () روضة المحبين (٢١٩).

٤ () رواه البخاري (١٨٩٤) ومسلم (١١٥١).

قال القرطبي رحمه الله: (كلما قَلَّ الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قَلَّت المعاصي)[١].

الشهامة والرجولة

قد يترك الإنسان المعصية شهامة ورجولة وذلك عندما يتأمل ما فيها من خِسَّةٍ ودناءة، كما قال الشاعر:

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ إلا نهاني الحياء والكرمُ
فلا على فاحش مددت يدي ولا مشت بي لريبة قدمٌ[٤]

ولما أرادت أم سلمة رضي الله عنها أن تلحق بزوجها أبي سلمة t إلى المدينة، قالت: خرجت أريد زوجي، وما معي أحد من خلق اللهاً حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟

فقلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟! فقلت: لا والله، إلا الله وبني هذا. قال: والله ما لك من مترك.

فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي؛ فإذا ركبت، أتى فأخذه بخطامه فقاده حتى

١ () تفسير القرطبي (٢/ ٢٧٥).

ينزل بي، حتى أقدمني المدينة، ثم انصرف راجعا إلى مكة[١].

عفة، وشهامة، ونخوة، ورجولة من عثمان بن طلحة، حيث رعى تلك المرأة حتى بلغها زوجها، عف عنها، فلم يطمع فيها، مع وجود الداعي، من خلو مكان، وبُعد، وقدرة، وغريزة جامحة، وميل لا يخفى.. فما الذي منعه؟

لقد كان عثمان وغيره من العرب في ذلك الزمان يعظمون الحرائر، ويحفظون عفتهن، من باب الرجولة والنخوة، ويفتخرون بمثل ذلك، إذ كان الكف عنهن من مفاخر العرب، كما قال عنترة:

وَأَغُضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي حَتّى يُواري جارَتي مَأواها[٥]

وعن أبي أمامة t قال: إن فتى شابا أتى النبي r فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه،

---

١ () انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٣١٦).

وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [1].

وقد يترك العبد فعل المحرم، ويكبح نفسه عن شهواتها، خشية العار والسمعة السيئة بين الناس، ويقول: لو أني فعلت كذا لعابني الناس وتنقصوني، وصار لي فيهم المثل السيء، والثناء السيء، وهذا يؤثر على مكانتي بينهم، ويعاب به أولادي من بعدي ، فيُحجم.

وقد ينظر إلى الفعل المشين ، وإلى عاقبته وما يؤول إليه في الدنيا، فيخاف على نفسه أن يصيبه، فيرتدع.

تقول له نفسه: إن الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان. ويسمع الناس يقولون: الزنا يورث الفقر، ويذهب بنور القلب، ويكسو صاحبه سواد الوجه، ويوجب المقت بين الناس، وليس بعد مفسدة القتل أعظم من مفسدته، ولهذا شُرع فيه القتل على أشنع الوجوه وأصعبها.

فحين يسمع ذلك وغيره يخشى عاقبة الأمر، فيصرفه ذلك عما كان قد أضمر، فينصرف خائفا من خزي الدنيا، فعسى أن يذكره ذلك الخوف من الله.

الخوف من الأمراض

قد يترك كثير من الناس المعصية، والوقوع في الفاحشة خوفاً من الوقوع في المرض، ولعل الكثير ممن يتركون الزنا في البلاد الغربية إنما يتركونه لهذا الدافع .

---

1 () رواه أحمد (٢١١٨٥) وصححه الألباني.

وفي حادثة طريفة .. شعرت الزوجة أن الخادمة أصبحت ترفع صوتها أمامها، وترفض تنفيذ طلباتها، وعندما تذكر ذلك لزوجها يبادر بالدفاع عنها بأنها مسكينة ومغتربة، ثم اكتشفت الزوجة أن زوجها على علاقة محرمة مع الخادمة ..فصبرت .. ولم تمض فترة حتى ذهب الزوج خارج المدينة في رحلة عمل، استغلتها الزوجة لترحيل الخادمة إلى بلادها.

وعندما عاد وسأل عن الخادمة؛ أخبرته أنها رحّلتها إلى بلادها بعدما تبيّن أنها مصابة بمرض الإيدز. وبعد سماع الزوج للخبر انهار وحزن وأصيب بتوتر شديد، ونقص وزنه ٢٠ كغ، وراح يحتضن أولاده والدموع تتساقط من عينيه لاعتقاده أن الموت اقترب منه، وابتعد عن زوجته مخافة أن يعديها.

وما إن شعرت الزوجة أنها شفت غليلها، حتى أخبرته بالقصة كاملة، فاعترف الزوج بخطئه، وطلب من زوجته أن تسامحه، مؤكداً لها بأنه لن يخونها مرة أخرى، وأحسن إليها واستقامت أموره بعد ذلك.

الخوف من الفضيحة

الأصل في المؤمن أنه يترك المعاصي خوفاً من عقاب الله عز وجل، ولكن مع ذلك فقد تحدثه نفسه بالمعاصي وقد يضعف مع الوقت، وهنا يكون الخوف من الفضيحة رادعاً له عن ارتكاب الرذائل.

فهذا شاب اعتاد الدخول على شبكة الإنترنت للاستفادة من مواقعه المفيدة والمشاركة الدعوية في بعض المنتديات، ولكن كثيراً ما تحدثه نفسه بدخول

المواقع الإباحية، فماذا فعل؟

قام بإخراج الحاسوب من غرفته الخاصة، ووضعه في غرفة المعيشة التي يكون فيها ظاهراً أمام والديه وباقي إخوانه وأخواته.

وهنا إذا حدثته نفسه بالدخول على مواقع سيئة، فإنه سيمتنع خوفاً من الفضيحة.

ولعل من الكوابح القوية في عصرنا هذا: معرفة أن أي شيء يتم تخرينه في الحاسبات أو الجوالات يمكن استرجاعه بسهولة، حتى لو تم مسحه، فهناك برامج متخصصة لاستعادة المعلومات الممسوحة.

يقول أحد التقنيين الغربيين:" الناس ليسوا مدركين كم هم يكشفون أنفسهم للآخرين عن طريق هذه الجوالات.

وتزداد المسألة خطورة إذا علمنا أن استعادة المعلومات من الحاسبات والجوالات تتم باستخدام برمجيات متخصصة وفي ذات الوقت رخيصة ومتاحة على شبكة الإنترنت.

ولذلك قال أحدهم: من الأفضل أن أدهس الهاتف المحمول بقدمي، أو أضع عليه حامضاً ليفسده، بدلاً من أن أبيعه "[1].

ولعل مثل هذه الأشياء تجعل الشباب يحجمون عن تناقل الصور والأفلام الفاضحة خشية الفضيحة والعار.

تأمل أضرار المعاصي

---

[1] () مستفاد من صحيفة الاقتصادية الالكترونية، العدد (٤٨٨١).

قال يحيى بن معاذ: (من أرضى الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات)[1]. وقال عبد الصمد الزاهد: (من لم يعلم أن الشهوات فخوخ فهو لعاب)[2].

فمعرفة ما في الحرام من المفاسد والآلام تضع أمام الإنسان مانعاً قوياً له عن الحرام، ويكفيه في ذلك أن يتأمل فيما حدث لغيره، وما حصل للأقوام السابقة من المفاسد والمصائب:

فما الذي أخرج الأبوين من دار النعيم واللذة والسرور إلى دار الآلام والأحزان..؟ إنها المعصية ..! وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ باطنه وظاهره فجعله في أقبح صورة، وبدله بالقرب بعداً وبالرحمة لعنة، وبالجنة ناراً تلظى، فهان على الله غاية الهوان، وصار فاسقاً مجرماً قاد البشرية إلى كل فساد وشر؟ إنها المعصية..! وما الذي أغرق أهل الأرض جميعهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال..؟، وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم صرعى على سطح الأرض..؟،وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم..؟، وما الذي رفع قرية سدوم..قرية قوم لوط .. حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأتبعها بحجارة، وجعل مكانها منتناً لا يكاد يوجد فيه حياة..؟، وما الذي أرسل على قوم شعيب عذاب الظُّلّة، فلما صار فوق رؤوسهم أمطرهم ناراً تلظّى..؟، وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم تعرض

---

1 () ذم الهوى (٢٧).

2 () ذم الهوى (٣١).

عليها صباح مساء؟ فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق، والموعد يوم القيامة..!

فَتَأَمُّلُ ما في الذنوب من الآلام والمصائب؛ يقود إلى التقوى ولو كان فيها لذة عاجلة.

تَفنى اللَذاذَةُ مِمَّن نالَ صَفوَتَها ... مِنَ الحَرامِ وَيَبقى الإِثمُ وَالعارُ
تبقي عَواقِبَ سوءٍ في مَغَبَّتِها ... لا خَيرَ في لَذَّةٍ مِن بَعدِها النارُ(٦)

وهذا رجل زنى بامرأة- والعياذ بالله- فحملت منه، وهو في حيرة لا يدري ماذا يفعل، أيتزوجها ويتعرض للفضيحة بين أهله؟ أم يقتل ما في بطنها، وهذه جناية أخرى أعظم؟ أم يتركها وولدها ويتشرد الولد؟ وكلها مصائب وآلام وذنوب وحسرات ..! فلو تأمل في هذه المفاسد من قبل، لقاده تأمله بإذن الله إلى ترك الحرام ابتداءً.

وبهذا يتم الحديث عن القسم الأول من أقسام الكوابح، وننتقل لبيان القسم الثاني.

القسم الثاني: الكوابح المانعة من الشبهات:

هناك مجموعة من الكوابح المانعة من الوقوع في الشبهات المهلكة، لعل من أبرزها ما يلي:

مغالبة الهوى ومدافعة الخطرات

لا بد للإنسان أن يتعلم كيف يغالب هواه ابتداءً من معالجة الخواطر، فإذا جاءت الخاطرة بالمعصية أو بالشر طردها، فمبدأ الأفعال إنما هو من الخواطر.

وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية إلى الحرام .

قال جرير بن عبيدة: شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه[1].

ولا يمحو وسوسة الشيطان إلا ذكر الله والاستعاذة به قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال مجاهد في قول الله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤] هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط

١ () المنتقى من أخبار الأصمعي (٦٦).

على قلبه[١].

الانتهاء عن الاسترسال

ورود الخاطر لا يضر وإنما الذي يضر استدعاؤه ومحادثته؛ فالخاطر كالمار على الطريق فإن لم تستدعه وتتركه مَرَّ وانصرف عنك؛ وإن استدعيته سحرك بحديثه وخِدَعِه وغروره.

جاء رجل إلى النبي r فقال: «**إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالْحَدِيثِ لَأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ؛ قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ**»[٢].

وقال رسول اللهr: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ؛ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلْيَنْتَهِ**»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله:(وقد خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن، ولا تبقى معطلة أبداً؛ فإن وضع فيها حَبٌّ طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته، فالأفكار التي تجول في النفس بمنزلة الحَبِّ الذي يوضع في الرحى، فمن الناس من تطحن رحاه حبا يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملا وحصى وتبنا ونحو ذلك فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه.

فإذا دفعت الخاطر الوارد عليك اندفع عنك ما بعده، وإن قبلته صار فكرا جوالا، ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار،

---

١ () تفسير الطبري (٢٤/ ٧١٠)، تفسير ابن كثير (٨/ ٥٤٠).

٢ () رواه مسلم (١٣٢).

٣ () رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤) .

وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد، ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئا خسيسا لم يكن في سائر أمره إلا كذلك.

وإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك فإنه يفسدها عليك فسادا يصعب تداركه، ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرة، وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك.

فمثالك معه مثال صاحب رحى يطحن فيها جيد الحبوب، فأتاه شخص معه حِمْلُ ترابٍ وبعْرٍ وفحمٍ وغثاءٍ ليطحنه في طاحونته، فإن طرده ولم يمكنه من إلقاء ما معه في الطاحون استمر على طحن ما ينفعه وإن مكنه من إلقاء ذلك في الطاحون؛ أفسد ما فيها من الحب وخرج الطحين كله فاسدا)[1].

ترك مجالسة أهل البدع

عن أبي قلابة رحمه الله أنه كان يقول: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)[2].

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: (لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم)[3].

---

١ () الفوائد (١٧٤-١٧٥).

٢ () رواه الدارمي (٣٩١).

٣ () رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩٤٦٧).

وعن محمد بن سيرين رحمه الله: (أنه دخل عليه رجلان من أهل الأهواء فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل؟ قال: لا، لتقومان عني، أو لأقومن) [1].

وكتب عيسى بن يونس رحمه الله إلى بعض أصحابه يقول: (لا تجالسوا الجهمية، وبينوا للناس أمرهم كي يعرفوهم، فيحذروهم)[2].

وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله: أنه رأى رجلاً يتكلم في القدر فقام إليه فوطئ بطنه، ثم قال: (إن فلاناً لا يؤمن بالقدر فلا تجالسوه، فخرج الرجل من دمشق إلى حمص)[3].

عدم الفتيا بغير علم

قال ابن القيم رحمه الله: (قد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣])[4].

وعن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r:« مَنْ أُفْتِىَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى

---

١ () رواه الدارمي (٣٩٧).

٢ () نقض الدارمي (١/ ١٤٦).

٣ () الابانة لابن بطة (٢/ ٣٩١).

٤ () إعلام الموقعين (١/ ٣٨).

مَنْ أَفْتَاهُ »[١]، لهذا وأمثاله كره العلماء التقدم في الفتوى، وآثروا الإحجام، وأصل ذلك الخوف من التقول على الله، والكلام في دين الله بغير علم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللهrيقول: « **إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوساً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** »[٢].

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الصحابة رضي الله عنهم: (كانوا إذا سئل أحدهم عن المسألة ردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول) [٣].

وقال أبو حصين عثمان بن عاصم التابعي الجليل رحمه الله: (إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمرt لجمع لها أهل بدر)[٤].

وقال عبد الرزاق عن معمر قال: سأل رجل عمرو بن دينار عن مسألة فلم يُجبه، فقال الرجل: إن في نفسي منها شيئا فأجبني؟ فقال: إن يكن في نفسك منها مثل أبي قبيس أحب إلي أن يكون في نفسي منها مثل الشعرة[٥].

وقال ابن مهدي رحمه الله سأل رجل مالك بن أنس رحمه الله عن مسألة فطال ترداده إليه فيها وألح عليه فقال: ما شاء الله يا هذا إني لم أتكلم إلا

---

١ () رواه أبو داود (٣٦٥٧) وحسنه الألباني.

٢ () رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٤٨٢٨).

٣ () تاريخ بغداد (١٣/ ٤١٢).

٤ () تاريخ دمشق (٣٨/ ٤١١).

٥ () الطبقات الكبرى (٥/ ٤٨٠).

فيما أحتسب فيه الخير، ولست أحسن مسألتك هذه[١].

وقال ابن وهب رحمه الله: (سمعت مالكا يقول: العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرق، وكان يقال التأني من الله، والعجلة من الشيطان)[٢].

وقال محمد بن المنكدر رحمه الله: (العالم بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل بينهم)[٣]، وقال يحيى بن سعيد رحمه الله: (كان سعيد بن المسيب لا يكاد يفتي فتيا، ولا يقول شيئا إلا قال: اللهم سلمني وسلم مني)[٤].

ولا سيما إن كان من يفتي يعلم من نفسه أنه ليس أهلا للفتوى لفوات شرط، أو وجود مانع، ولا يعلم الناس ذلك منه فإنه يحرم عليه إفتاء الناس في هذه الحال بلا شك، والعاقل من أحال الفتوى على غيره حين يرى أنه أقدر عليها منه.

قال ابن معين رحمه الله: (الذي يُحَدِّثُ بالبلدة وبها من هو أولى منه بالحديث فهو أحمق)[٥].

وقال مالك رحمه الله: (ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك)[٦].

وقال ابن عيينة وسحنون رحمهما الله: (أجسر الناس على الفُتيا أقلهم علماً)

---

١ () حلية الأولياء (٦/ ٣٢٣).

٢ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٥) والجملة الأخيرة وردت عن أنس t أن النبى r قال:« **التَّأَنِّى مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ** » رواه البيهقي في سننه (٢٠٧٦٧) وحسنه الألباني.

٣ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

٤ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

٥ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

٦ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

.[١]

وقال سحنون رحمه الله:(أشقى الناس من باع آخرته بدنيا غيره، وقال: فتنة الجواب بالصواب أشد من فتنة المال)[٢].

وقال سفيان رحمه الله:(أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بداً من أن يفتوا، وقال: أعلم الناس بالفتيا أسكتهم عنها، وأجهلهم بها أنطقهم فيها)[٣].

وبكى ربيعة، فقيل ما يبكيك؟ فقال: (استُفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم، وقال: ولبعض من يُفتي ههنا أحق بالسجن من السراق)[٤].

وعن أبي موسى قال: (من علمه الله علما فليعلمه الناس، وإياه أن يقول ما لا علم له به فيصير من المتكلفين، ويمرق من الدِّينِ)[٥].

قال ابن القيم رحمه الله: (كان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى)[٦].

---

١ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

٢ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

٣ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٦).

٤ () الآداب الشرعية (٢/ ٦٧).

٥ () سنن الدارمي (١٧٤).

٦ () إعلام الموقعين (١/ ٣٣).

وسائل صناعة وتقوية الكوابح

إن الإحجام عن الشر وعن كل ما يضر عبادة جليلة، وعليها قوام دين المرء، ولذا كان لا بد من الحرص على صناعة الكوابح وتقويتها، وذلك من خلال الأمور التالية:

١. **تدبر القرآن العظيم** : قال الله عز وجل: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٢. **استشعار عظمة الله عز وجل،** ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح، لتنطق عن طريق العمل بما وعاه القلب، فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه، فإذا صلح صلحت، وإذا فسد فسدت.

٣. **طلب العلم الشرعي :** قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[فاطر: ٢٨].

٤. **لزوم حلق الذكر** وهو يؤدي إلى زيادة الإيمان، قال رسول الله r: « **لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ** »[1].

٥. **الإكثار من الأعمال الصالحة وملء الوقت بها**: وينبغي أن يراعي المسلم في مسألة الأعمال الصالحة أموراً منها:

---

١ () رواه مسلم (٢٧٠٠).

المسارعة إليها:

لقوله تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الحديد: ٢١].

الاستمرار عليها:

عن أبي هريرة t قال: قال رسول r إن الله قال: «... **وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[1].

الاجتهاد فيها:

قال تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٧ – ١٩].

٦. تنويع العبادات:

عن أبى هريرة t قال: قال رسول الله r:« **مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا** »، قال أبو بكر t أنا، قال: « **فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً** »، قال أبو بكر t أنا، قال: « **فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا** »، قال أبو بكر t أنا، قال: « **فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا** »، قال أبو بكر t أنا، فقال رسول الله r:« **مَا اجْتَمَعْنَ فِ**

1 () رواه البخاري (٦٥٠٢).

امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ »[١].

٧. **الإكثار من ذكر الموت:**

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r :«**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ**»[٢].

٨. **مناجاة الله والانكسار بين يديه عز وجل:**

عن أبي هريرة t قال: قال رسول الله r: « **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ** »[٣].

٩. **قصر الأمل:** قال تعالى: ﴿ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] .

١٠. **التفكير في حقارة الدنيا:** قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

١١. **تعظيم حرمات الله:** يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [الحج: ٣٠].

١٢. **محاسبة النفس:** قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] .

١٣. **الدعاء:** وهو من أقوى الأسباب التي ينبغي على العبد أن يبذلها، عن النعمان بن بشير t قال: سمعت النبي r يقول: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»،

---

١ () رواه مسلم (١٠٢٨).

٢ () رواه الترمذي(٢٤٦٠) وصححه الألباني.

٣ () رواه مسلم (٤٨٢).

ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[غافر: ٦٠] [1].

هذه بعض الوسائل المعينة على صناعة الكوابح وتقويتها، نسأل الله أن ينفعنا بها.

١ () رواه الترمذي (٣٢٤٧) وصححه الألباني.

الخاتمة

هذه نظرات في موضوع الكوابح ذكرنا فيها معناها، ومسبباتها، وشيئا من صورها، وأقسامها، ووسائل صناعتها وتقويتها.

ويتبين من ذلك أن جماعها مرتكز على مجاهدة النفس، وكبح جماحها عن الشر، ومنعها من كل ما يغضب الله تعالى، فإن العبد ما لم يجاهد نفسه ابتداء ويلزمها فعل ما أُمرت به، وترك ما نُهيت عنه، لم يمكنه جهاد عدوه الخارجي، ولهذا قال رسول الله r: (**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ**)[1]، يقول الحسن البصري رحمه الله: (إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلمتي، ما أردت بأكلتي، ما أردت بحديث نفسي؟ فلا تراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه)[2].

وليتذكر المسلم أن إيثار الألم العاجل الزائل خير من الوقوع في الألم الدائم حين لقاء الله تعالى.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل بيننا وبين الحرام برزخاً وحجراً محجوراً، وأن يجعلنا من الذين إذا أساؤوا استغفروا، وإذا أحسنوا استبشروا، وأن يجعل هوانا فيما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[1] () رواه الترمذي (١٦٢١) وصححه الألباني.

[2] () الزهد للإمام أحمد (٢٢٨).

فهرس المحتويات

(Footnotes)

١ () لطائف المعارف (١٤٧).

٢ () روضة المحبين (٣٣١).

3 () سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٢).

4 () بهجة المجالس (١٢٩).

5 () العقد الفريد (٢/٢٥٦).

6 () الآداب الشرعية (٢/ ٣٣٨).

